الملفُّ التَّاسع

سِلْم العدَّة

آمال زوجية تحقَّقت وأخرىٰ ظلَّت حبيسة القلوب والجدران، هذا هو حال الزَّوج والزَّوجة بعد الانفصال بالطَّلاق واستعراض شريط الذِّكريات، حيث يعتقد كل منهما أن الكرة الأرضية باتساعها قد يئست من إصلاح مشكلات حياته وحلِّ أزماته، ولكن مع انقطاع الدفء الأسري وبرودة الوحدة التي يعتريها الخوف والضياع، والآلام التي لم تجد مَنْ يسمع ويستجيب لها تزداد الجراح وتشتد وتقوىٰ أمام ضعف المناعة البشريَّة.

وفي هذه الحالة تسلك الذَّاكرة عكس الاتجاه فتفكِّر في إعادة الحياة الزوجيَّة إلىٰ الحياة، فيتحوَّل الصراع والخصام إلىٰ أمان وسلام، فقد تتبدَّل أحاسيس الكره والبغض وتذوب في عالم النِّسيان، وبلمسة وابتسامة حانية تزول جميع ألوان الشكوىٰ وتسكن القلوب والأبدان، وبعين الرضا ونظرات الودِّ والتَّحابِّ يعود الكيان الأسري إلىٰ سابق عهده جنَّة وارفة الظِّلال.

وعلىٰ ذلك تكون أيام العدَّة قد فعلت فِعْل السحر في القلوب وأعادت الصواب إلىٰ تفكير العقول بفضل منهج القرآن الكريم الذي قضىٰ بذلك وحكم بعدم خروج النِّساء فيها من بيوتهن لعلَّ الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ [الطلاق: 1].

«ذلك أن الحكمة من إبقاء المطلَّقة في بيت الزَّوج إتاحة الفرصة للرجعة، واستثارة عواطف المودة، وذكريات الحياة المشتركة، حيث تكون الزَّوجة بعيدة بحكم الطَّلاق قريبة من العين، فيفعل هذا في المشاعر فعله بين الاثنين . . .

﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ [الطلاق: 1] وهي لمسة موحية مؤثرة. فمن ذا الذي يعلم غيب الله وقدره المخبوء وراء أمره بالعدِّة، وأمره ببقاء المطلَّقات في بيوتهن. إنه يلوح هناك أمل، ويوصوص هناك رجاء، وقد يكون الخير كله، وقد تتغيَّر الأحوال وتتبدَّل إلىٰ هناء ورضىٰ. فقدر الله دائم الحركة، دائم التغيير، ودائم الأحداث، والتَّسليم لأمر الله أولىٰ، والرِّعاية له أوفق، وتقواه ومراقبته فيها الخير يلوح هناك»[1].

أرأيت هذه السَّلْمية في منهج أو دستور آخر؟ وإلىٰ أي حدٍّ ومدىٰ يحفظ ربُّ العباد ﷻ الكيان الأسري ويحوطه ويحفظه بمختلف الطرق وكافة الوسائل؟.

فأيام العدَّة قد تكون أيام خير ووفاق، فقد تعود الحياة إلىٰ مجاريها والطَّائر المهاجر إلىٰ عُشِّه «لعلَّ الله يحدث في قلب المطلِّق الرَّحمة والمودة، فيراجع مَنْ طلقها، ويستأنف عشرتها، فيتمكَّن من ذلك مدَّة العدَّة، أو لعلَّه يطلِّقها لسبب منها، فيزول ذلك السَّبب في مدَّة العدَّة، فيراجعها؛ لانتفاء سبب الطلاق»[2].

أو «لعل الزَّوج يندم علىٰ طلاقها ويخلق الله في قلبه رجعتها، فيكون ذلك أيسر وأسهل»[3].

فالعبث كل العبث أن نسمع للنفس البشريَّة وأن نستجيب لرغباتها في حالة النزاع والخصام، وأن نضرب علىٰ هذا الوتر الحساس ثم بعد ذلك نشتكي ما حلَّ بها، وأن نحتكم إلىٰ الواقع في سلبياته وأن نطرح من خلاله علامات الاستفهام التي تدور حول لم ولماذا وكيف؟ وكل ذلك يدور حول ما فعله الزَّوج بزوجته وما لحق بها من إيذاء نتيجة لهذا الطَّلاق، ولكن الحكمة تقتضي أن نضرب بذلك عرض الحائط، وأن ننتظر حلول الهدوء والسَّكينة بها حينئذ نسمع لها ونحاورها

(1) في ظلال القرآن 6/ 3599، 3600.

(2) تيسير الكريم الرحمن ص1026.

(3) تفسير القرآن العظيم 4/ 484.

حوار صديقين حميمين لا عدوين متخاصمين، فالخير قويٌّ في ذاته مهما تعملقت أمامه عوارض الشرِّ، والسِّلْم عزيز الجانب مهما لاحت في الأفق أمارات الاعتداء، وأيام العدَّة خير وسيلة لتسكين الآلام وتضميد الجراح ونبذ العداء، وإعادة السِّلْم والسَّلام للكيان الأسري.